المصطلح التراثي في النقد المعاصر بين الإعمال والإهمال – يوسف وغليسي نموذجا –

The traditional term in modern criticism between implementing and neglecting -Youssef WaGleesi's Model-

1. ط/د.: بن زاهية خديجة. 2. د. رخرور أمحمد

1. المركز الجامعي آفلو – (الجزائر)، k-benzahia@cu-aflou.edu.dz

مخبر: اللسانيات التّقابليّة وخصائص اللّغات.

2. المركز الجامعي آفلو – (الجزائر)، rakhrour_moh@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 **تاريخ المراجعة:** 2024/03/05 **تاريخ النشر:** 2024/03/30

ملخص:

عرف النّقد العربي المعاصر مع منتصف القرن العشرين إلى يومنا هذا منعرجا مسّ العديد من الجوانب، ولا سيما على مستوى المصطلح بانفتاحه على الآخر، فتعدّدت وسائل وضعه، ومن بين أهمّ هذه الوسائل وضع المصطلح التّراثي كمقابل للمصطلح الأجنبيّ، إلّا أنّ هذه الأخيرة لاقت قبولا عند البعض، ودعوا إلى العناية بالتّراث والإفادة منه. ورفضها آخرون بحجّة انبهارهم بموجة الحداثة الغربيّة، فلجأوا إلى التّرجمة والتّعريب والاشتقاق، وأعلنوا القطيعة مع التّراث، ليظهر طرف آخر ينادي بالوسطيّة بإعمال المصطلح التّراثي بما يسمح له من توافق مع ما يحيل إليه المفهوم الحديث مع إمكانيّة الاستفادة من المتصوّرات الحديثة، لذا شغلت هذه المسألة فكر العديد من النّقاد والدّارسين، ومن بينهم الأستاذ الدّكتور الجزائري " يوسف وغليسي". الّذي أولى اهتماما خاصّا بإشكاليّة المصطلح.

الكلمات المفتاحيّة: المصطلح – الإشكاليّة – التّراث – الحداثة – التّرجمة.

Abstract:

Starting from the second half of the twentieth century, the Modern Arabic criticism has witnessed a drastic shift that touched many domains, especially, at the level of the term with its openness to the western world. Thus, there were different ways to establish it, and most importantly, the implementation of the traditional term as an opposite to the foreign term. This latter was welcomed with open arms by some scholars who called for the cautious integration of the traditional term in recent criticism. However, it was rejected by others on the premise that they were fascinated by the wave of the Western modernity, so they resorted to translation, Arabization, and derivation, declaring a prominent break with their heritage. In view of that, another party appeared, calling for moderation through implementing the traditional term, relying on its compatibility with the requirements and the perceptions of the modern concepts. Such issue was the key concern of many researchers, including the Algerian professor "Youssef Waghlissi", who paid a special attention to the problem of the term in modern criticism.

Keywords: *Term – Problematic – Heritage – Modernity – Translation.*

***المؤلف المراسل.**

مقدّمة:

أفاد النّقد الأدبي من التّلاقح الفكري مع ثقافات غربيّة، فوفدت إلينا نظريّات ومناهج وتسرّبت معها مصطلحات فكريّة وفلسفيّة إلى النّقد العربي والأدب العربي عامّة. فشرع النّقاد العرب في وضع المصطلحات النّقديّة بترجمة تلك المصطلحات الوافدة، بمقابل عربي، عن طريق التّعريب والاشتقاق والنّحت أثناء الإخفاق في التّرجمة الحرفيّة.

فتح هذا الأمر المجال أمام قضايا نقديّة كثيرة، أثارت نقاط البحث المعمّق في أسسها الفكريّة. ومن أهمّ هذه القضايا: قضية تراثنا الأدبي وتوظيفه بين إعمال وإهمال وبين انبهار أمام المنجزات النّقديّة الغربيّة المعاصرة. ممّا كان من أهمّ الدّواعي للبحث عن هذه القضيّة في المدوّنات العربيّة لمعرفة مدى الوضع المصطلحي التّراثي لدى النّقاد العرب. فكان اختيارنا للنّاقد الجزائري "يوسف وغليسي " الّذي اهتمّ بقضية وضع المصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ.

فإلى أيّ مدى عالج يوسف وغليسي قضيّة إعمال المصطلح التّراثي كمقابل للمصطلح الوافد؟ وما هي إمكانيّة توظيف المصطلح التّراثي في النّقد العربي؟

ما هي أسباب القطيعة مع التّراث أهي الانبهار نحو الحداثة الغربية أم احتقار للعقل العربي؟

أولا – في مفهوم التّراث:

التّراث لغة: ما خلّفه السّلف من آثار علميّة وفنّية وأدبيّة، ممّا يعتبر بالنّسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه[1].

التّراث اصطلاحا: "هو ابتعاث اللّفظ القديم ومحاكاة معناه العلمي الموروث بمعنى علمي حديث يضاهيه"[2].

ليكون المفهوم اللغوي ما توارثه اللاحق عن السّابق بالمعنى العام، أمّا المفهوم الاصطلاحي فقد ضيّق معناه ليقتصر على اللّفظ القديم في تمثّله الجديد.

ثانيا – طرائق وضع المصطلح:

يظهر في المنجز العربي الحديث والمعاصر أنّه أخذ عدّة اتّجاهات من حيث تفعيل المصطلح التّراثي العربي كمقابل للمصطلح الأجنبيّ من عدمه، بين رفض قطعيّ للتّراث العربي القديم وانبهار بالفكر الغربي، وبين دعوة صريحة لتبنّي المصطلح التّراثي وإعماله وبينهما من يدعو إلى استعماله في حدود ما إن لم يستطع المصطلح المستجد حمله. لذا يمكن حصرها في ثلاثة اتجاهات كالآتي:

اتّجاه يدعو إلى القطيعة مع التّراث:

هؤلاء الذّين تنكّروا للمصطلح التّراثي هم أولئك الّذين ارتموا في حضن الفكر الغربي وانبهروا بمنجزاته. يرون " أنّ العودة إلى الينابيع القديمة إعاقة للنّموّ وتكريسا للازدواجيّة اللّغويّة ... ونتيجة لذلك ترسّخ فكرة حتميّة الابتعاد عن استعمال المصطلحات القديمة للتّعبير عن مفاهيم جديدة، لأنّ توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة قد يفسد تمثّل المفهوم الجديد "[3]. حجّتهم في ذلك أنّه عقبة أمام مواكبة التّطوّر الحاصل، كما أنّه سبّب الازدواجية المصطلحية الّتي ساهمت في فوضى المصطلح وعدم استقراره.

مثّل هذا الاتّجاه مجموعة من النّقاد العرب نذكر منهم ما يلي:

محمّد السّعران: كان أوّل ما راعاه إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه وانتقاء اللّفظ العربي المقابل له بحيث لا يوقع في الخطأ أو الاختلاط، فأناء عن اختيار المصطلح اللّغوي العربي القديم ترجمة لبعض المصطلح الإنجليزي دون إيقاع في البلبلة ودون إبهامه بغير المراد[4]. فقد آثر التّرجمة الحرفيّة كحلّ لوضوح المصطلح كما يبدو له، ويعتقد أنّ وضع المصطلح القديم كمقابل للمصطلح الأجنبيّ يوقع القارئ في الشّكوك حوله والغموض ويلتبس عليه الأمر بخصوص المصطلح.

خليفة الميساوي: يرفض إعمال المصطلح التّراثي كمقابل للمصطلح الأجنبي لأنّنا لا نتوافق معهم في نفس الخلفيّة المرجعيّة حتّى نعمل على استعمال مصطلحاتنا القديمة. " فالمصطلح التّراثي في كثير من الأحيان غير مؤهّل لاحتواء التّصوّر الذّهني للمصطلح الأجنبيّ الوافد"[5].

اتّجاه يدعو إلى استثمار التّراث:

نادى هؤلاء إلى ضرورة العودة إليه أثناء وضع المصطلح، ومن بين الدّعاة لتفعيله نجد:

عبد العزيز حمّودة: من خلال دعوته إلى تأسيس نظريّة نقديّة عربيّة كان لابدّ له أن يتطلّع للمصطلح التّراثي من أجل تفعيله للوضع المصطلحاتي، فندّد بتلك المنجزات الّتي تدير ظهرها للتّراث وتعلن القطيعة معه، إذ يردّها خطأ سقطت ضمنه تحديث المنجزات النّقديّة إضافة إلى الجمع بين الانبهار بالعقل الغربي والتّنكر لمنجزاته العربيّة والتّقليل الكامل من شأنها، ويطرح التّساؤل الآتي: أين أخطأنا إذن؟ ويجيب: " أخطأنا حينما حاولنا صفقة " التّحديث " الّتي تعني الحفاظ على منجزات العقل العربي مع الاستفادة من منجزات العقل الأوروبي، أخطأنا حينما ربطنا بين التّحديث وإدارة ظهورنا بالكامل لمنجزات العقل العربي ... على أساس أنّ الحداثة لا تتمّ إلاّ بتحقيق القطيعة المعرفيّة مع التّراث "[6]. فسوء فهمنا لاحتواء الحداثة أخلط الأمور وانعكست سلبا على نتاجنا الّذي أضحى المنجز العربي في ظلّه مبتور الأصول كصورة خاطئة رسمها أولئك الحداثيّون - المولعون بالغرب وأفكارهم-في نطاق التّجاوز والقطيعة.

عبد الرّزاق جعنيد: يرى " أنّ العناية بالتّراث النّقدي العربي واستقراءه وتتبّعه واستكشافه والإفادة منه بجميع فروعه، أصبحت مسألة ضروريّة وواجبة في فكرنا الرّاهن وثقافتنا، خاصّة في ظلّ الغزو الثّقافي الغربي من ناحيّة التّعبير والمصطلح لدرجة صار معهما التّراث العربي مهمّشا ومتجاهلا"[7]. وكأنّه بدعوته الملحّة للعناية بالمصطلح التّراثي، يدعو لإنقاذ نقدنا من التّبعيّة العمياء الّتي أبهرت أصحابها وبها تجاوزوا تراثهم العربي. وفي ظلّها قضوا على تراثهم من حيث لا يدرون وتركوا الثّقافة الغربيّة تغزو ساحتنا العربيّة مصطلحيا.

ولكن هذه الأصوات التي تستنكر القطيعة ورفض التراث، لم تنجح في تحقيق تيّار حقيقي يعتمد على العودة إلى التّراث، فلابّد من تواجد عدّة أسباب وقفت عائقا أمامهم نذكرها كالآتي:

- ارتفاع صوت الحداثيين العرب ومسارعتهم، واتّهامهم لكلّ من يختلف معهم بالجهل أو الأصوليّة والانعزاليّة.
- الاستغلال الذّكي لشعار التّحديث والرّغبة الصادقة لدى الجماهير العربيّة في تحديث العقل العربي.
- سوء الفهم والنّقل والتّرجمة عن الأصول الأجنبيّة، ترتّب عنها غموض أدّى به إلى أحاديّة غربيّة في الرأي واختيار الصّمت حتّى لا يتّهم بعدم القدرة على الفهم.

- رفع الحداثيّون العرب في فترة مبكّرة شعارا براقا مخادعا (شعار الأصالة والمعاصرة، والّتي تفطّن لها كثيرون، بأنّ الرابطة بينهما لا تتعدّى واو العطف الواقعة بينهما.[8]

فشعار الحداثة وموجة الانبهار بها كانت الدافع الرئيس في رفض هذا التّيار الداعي للعناية بالتّراث والاستفادة منه.

اتّجاه يدعو إلى الوسطيّة:

وقف هؤلاء بين تفعيل ما يتناسب من التّراث وإهمال مالم يستطع حمل مدلوله المصطلح الأجنبيّ ليلجأ كحلّ آخر إلى تفعيل المصطلح المستجدّ. ومثّل هذا الاتّجاه العديد من النّقاد العرب أمثال:

عيّاد بومرزاق: يقف وقفة وسط، ويرى أنّ سبب دراسته لنقلة المصطلح التّراثي إلى النّقد الجديد، كردّ منه على أولئك الّذين يدّعون بانبتات الحداثة أو التّجديد عن الأصول. فقد" تميّزت العلاقة بين النّقاد العرب المعاصرين وتراثهم بالتّفاعل، فلم تنزلق الذّخيرة المصطلحيّة القديمة الدّينيّة والأدبيّة والنّقديّة، انزلاقا آليا محاكيا، بل طاوعت الدّارسين فأمدّهم بالمصطلحات الجاهزة والمتصوّرات الحديثة بالقدر الّذي سمحت به قناعاتهم ووفّرته مجهوداتهم"[9]. فأثنى على العمل المزاوج بين إعمال المصطلح التّراثي وتلك المتصوّرات الحديثة.

جابر عصفور: يدعو إلى الوسطيّة حيث يشترط الموضوعيّة في وضع المصطلح حتّى يكون الفهم السّليم للتّراث، وتفعيل المفاهيم المعاصرة في الوقت نفسه، فيبحث "عمّا يؤرقه من مفاهيم معاصرة بمفهوم القدماء كحلول لما يجول عالمنا من مشاكل تحيط بنا، لأنّه لا يمكن الانفصال عن عصرنا تماما، ولا يمكن فصل موقفنا من الحاضر عن موقفنا من الماضي. لأنّ التّراث موجود بنا وفينا في الوقت نفسه فضلا عن أنّ وجوده الموضوعي لا يعني انفصاله المطلق عنّا، بل يعني أنّه – رغم بعده التّاريخي – مازال يؤثّر فينا بالقدر الّذي نؤثّر فيه، كأنّه يشكّلنا بقدر ما نشكّله"[10].

يؤكّد إذن ضرورة التّعامل مع التّراث باعتباره يمثّل هويّتنا العربيّة، ولابدّ من استعماله لضمان استمراريّته والحفاظ عليه.

ثالثا – عوامل ثراء التّراث المصطلحي العربي:

حازت اللّغة العربيّة على تراث مصطلحي عملاق تضافرت ثلاثة عوامل على تمكينه هذه الرّيادة:

- **عامل تاريخي:** طول عمر العربيّة، فهي أطول اللّغات الحيّة عمرا.
- **عامل جغرافيّ:** فمنذ حمل رسالة الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، احتكّت لغتهم ببيئات جغرافيّة متنوّعة واتّصلت بمجتمعات ذات ثقافات متباينة، فكان لا بدّ من توليد مصطلحات مبتكرة للتّعبير عن تلك المفاهيم والتّصوّرات.
- **عامل علمي:** الرّيادة العلميّة العربيّة: فقد رفع العرب المسلمون شعلة التّقدم البشريّ أكثر من سبعة قرون، وزادوها توهّجا بما صنّفوا من مؤلّفات أدبيّة وما ترجموه من علوم الأمم الأخرى[11].

رابعا – فوائد استخدام المصطلحات التّراثيّة:

لابدّ أنّ اللّجوء إلى التّراث في وضع المصطلحات الجديدة له دوافعه، قد يمكن تحقيقه وبكلّ سهولة وقد يتميّز بالتّعقيد، لذا وجب التّدقيق في وضع المصطلح العربي والاستفادة الايجابيّة من الاستخدام المصطلحي التّراثي. فمن أهمّ فوائد استخدامه:

- ربط حاضر اللّغة بماضيها.
- توفير الجهد في البحث عن مصطلحات جديدة.
- سلامة المصطلح العربي التّراثي وسهولته.
- تجنّب مخاطر الاقتراض اللّغوي.
- الإسهام في توحيد المصطلح العلميّ العربيّ.
- تواصل اللّغة واستمراريّتها[12].

خامسا – استقصاء المصطلحات في التّراث العربي المكتوب:

يمكن الاتّكاء على ثلاثة مصادر للتّراث العربي المكتوب من أجل جرد المصطلحات العربيّة هي:

المعاجم التّراثيّة: وهي نوعان:

أ/ معاجم تراثيّة عامّة:

تشمل على مصطلحات جاهزة الاستعمال أو على كلمات مشتقّة من الجذور اللّغويّة ومرشّحة للاصطلاح وقابلة له، قمنا بجمعها في الجدول الآتي:

المعجـــــم	صاحبـــــه
العين	الخليل بن أحمد الفراهيدي
البارع	أبو علي القالي
الصّحاح	إسماعيل الجوهري
تهذيب اللّغة	أبو منصور الأزهري
الجمهرة	ابن دريد
المجمل (المقاييس)	ابن فارس
المحكم	ابن سيّدة
أساس البلاغة	الزّمخشري
لسان العرب	ابن منظور
القاموس المحيط	الفيروز أبادي
تاج العروس	الزّبيدي

جدول يمثّل أهم المعاجم التّراثيّة المستعملة في وضع المصطلح[13].

ب/ معاجم تراثيّة موضوعيّة: تنقسم إلى:

1. معاجم موضوعيّة مختصّة:

هي معاجم تختصّ بمصطلحات موضوع معيّن أو مادّة علميّة واحدة أو فرع من فروع المعرفة، كانت على شكل رسائل لغويّة، ومن أهمّ المعاجم ما يلي:

المعجـــم	صاحبـــه
جبال العرب	خلف الأحمر
الخيل	النّظر بن شميل
الأضداد	قطرب
مجازات	الزّمخشري
معرّبات	الجواليقي

جدول يمثلّ أهم المعاجم الموضوعيّة المختصّة[14]

2. معاجم موضوعيّة عامّة:

هي معاجم تضمّ جميع مفردات اللّغة مرتّبة حسب موضوعاتها العامّة، طبقا لتصنيف شامل للكون، فمثلا معجم **" الغريب المصنّف " لأبي عبيد القاسم**، اشتمل على خمسة وعشرين كتابا يتألّف كلّ واحد منها من عدّة أبواب.

3. التّراث العربي المنطوق:

يمثّل مصدرا من مصادر المصطلحات، إذ يتوارث المهنيّون والصّناع والحرفيّون مصطلحات مهنهم جيلا بعد جيل، والكثرة الغالبة عربيّة فصيحة، وصلت بالسّماع والتّلقي منذ قرون عديدة، ويمكن الاستفادة منها عن طريق جمعها من قبل باحثين مصطلحيين بمشافهة أهل الاختصاص، وترتيب حصيلة ذلك كلّه في شكل مصطلحات مصنّفة معرفة[15].

سادسا – منهجيّة توليد المصطلحات من التّراث العربيّ:

تمّ اقتراح منهجيّة شاملة للاستفادة من التّراث العربي المخطوط وتتمثّل فيما يلي:

- الفهرسة: وضع معجم مفهرس للمخطوطات الّتي لم تطبع.
- التّصوير: تصوير جميع المخطوطات الّتي يشتمل عليها المعجم المفهرس.
- التّخزين: حفظ ما صوّر من مخطوطات بأحدث تكنولوجيا المعلومات وتوفيرها حاسوبيا.
- التّصنيف: أي تصنيف المخطوطات المصوّرة موضوعيّا وزمانيّا ومكانيّا.
- التّوثيق: التّثبّت من صحّة المتن اللّغوي للمخطوط.
- التّكشيف: إعداد كشافات لمحتويات المخطوطات.
- النّشر: نشر المخطوطات ورقيّا وإلكترونيّا.[16]

سابعا – أشكال توظيف المصطلح التّراثي في النّقد المعاصر:

كان توظيف الدّارسين للمصطلح التّراثي عبر أشكال ثلاثة، ما يسمح أن يكون نقله مطاوعا للنّقد العربي وهي كالآتي:

- **الارتحال المصطلحي:** يكون بنقل المصطلح الفريد من ميدانه المخصوص إلى ميدان النّقد الأدبي الحديث وتوطينه فيه من خلال خلق روابط مشتركة بين الميدانين بعضها مقنع وبعضها ملفّق، كما كان مع ذخيرة

المصطلحات الصّوفيّة الّتي ارتحلت إلى ميدان النّقد. ومثال ذلك مفهوم النّص عند العرب قديما كان يقتصر على النّص القرآني، لينتقل كمفهوم واضح ودقيق في المنجز النقدي.

- **الاستفحال الدّلالي:** فيكون بقَبول المصطلح شحنات دلاليّة مستحدثة تطوّر تصوّراته القديمة وتوسّع مفاهيمه المحدودة وكانت ذخيرة الشّعر والنّقد المحدثين الأكثر استفحالا.[17] وتوجد أمثلة عديدة على هذا النّوع من الاستفحال فمثلا في الشّعر: كمصطلح التّناص الّذي عرف قديما عند العرب بالسّرقات الأدبيّة، ليصل إلى مصطلح " التّفاعل النّصي" حاليا.
- **الاستقبال المصطلحي/ الإسقاط المصطلحي:** يكون باستضافة الذّخيرة مصطلحات حديثة في ميدان قديم لتتلبّس بمتصوّرات مبهمة أو مشتّتة، كما كان الأمر مع متصوّرات النّص القرآني الّتي أوجد لها أدونيس مصطلحات نقديّة حداثيّة.[18]

ثامنا – عوامل إغفال التّراث العلمي العربي:

تتضافر عدّة عوامل جعلت الدارسين يغفلون عن استعمال المصطلح التّراثي ومن أهمّ هذه العوامل:

- الانقطاع بين التّراث والمعاصرة، ذلك أن معظم كتب التّراث ما زالت مخطوطة ولم تنشر.
- كتب التّراث لا تدرّس في المدارس والجامعات اليوم.
- ظاهرة سمّاها عبد العزيز بن عبد الله " التّرجمة من العربيّة إلى العربيّة " فقد استعارت اللّغات الأوربية من العربيّة الآلاف من المصطلحات، ثمّ جاء المترجمون العرب وعرّبوا بعضا منها دون الالتفات إلى أصلها العربيّ. ومن الأمثلة: كلمة **(SOFA)** الانجليزيّة الّتي اقترضت مؤخرا على صورة **(صوفا)** دون أن تلتفت إلى أصلها العربي **(الصُّعَّةُ)**.
- البعد الزّمني لاستعمال المصطلح يجعله من المهمل، وهذا حال المصطلحات العربّية التّراثيّة الّتي تعرّضت لفترة طويلة من عدم الاستعمال الفعلي، ممّا أدّى إلى انقطاع الصّلة بين العرب وتراثهم المصطلحي. وممّا أدّى بهم إلى تجاوزها وعمدوا إلى توليد مصطلحات جديدة.
- المصطلح التّراثي لم يكن كلّه سليم الوضع، إذ أنّ طائفة من المصطلحات العربيّة التّراثيّة وضعت في عجالة، فنجد في مصطلحاتنا التّراثيّة مصطلحات دخيلة أو معرّبة (ميتافيزيقيا) و (اسطيقا) وهي مصطلحات لم تثبت في الاستعمال[19].

فعدم سلامة المصطلحات التّراثيّة جعل نيّة الاستفادة منها قليل الإمكانيّة. لأنّ المصطلحات المبثوثة في كتب التّراث العربي لم تكن مطبوعة. وليست جاهزة للطّبع، كما كانت تحتاج إلى تحقيق. فوقفت كلّ هذه العوامل عائقا أمام الاهتمام بالمصطلح التّراثي وإعماله.

تاسعا – المصطلح التّراثي في كتابات يوسف وغليسي:

إنّ " النّاقد الجزائريّ يوسف وغليسي" أولى اهتمامه بإشكاليّة المصطلح وأفرد لها كتابا بعنوان " إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد"، لأنّ المصطلح ووضعه صار من بين أهمّ الإشكاليات الّتي يعاني منها الخطاب النّقدي العربي المعاصر. لأنّ الحديث عن أيّ مصطلح والبحث فيه، لابدّ من استحضار مرجعيّاته الثّقافيّة لما لها من تأثير في توليد ونشأة وارتحال هذا المصطلح " ككلّ كائن لغوي، لابدّ للمصطلح الوليد من بيئة معرفيّة ينشأ فيها وثقافة تحتضنه وتؤطّره. وتثير بيئة المصطلح وثقافته من الإشكاليات ما أغرى الباحثين على

اختلاف مشاربهم، بالدّراسة والبحث والاستخبار. ففزع إليها اللّساني والمصطلحي والتّرجماني وعالم الاجتماع وغيرهم"[20].

ونتيجة لذلك تفرّعت عدّة إشكاليات منها ما تعلّق بهجرة المصطلح من مستعمل إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومنها ما تعلّق بتسرّب المصطلح العربي القديم إلى الخطاب النّقدي المعاصر، فبات وجه العقبة أمام بعضهم وخاصّة ممثّلوا الحداثة الّذين شكّلوا قطيعة مع الماضي، فاكتفوا بالمصطلح المعاصر دون إعمال للمصطلح التّراثي. لكنّ الأستاذ وغليسي وقف موقف الوسطيّة بين إعمال المصطلح التّراثي وإهماله، بوجوب الحيطة والحذر في استخدامه، إذ يظهر موقفه هذا من خلال عرضه لمواقف بعض الدّارسين الّذين يشدّدون بضرورة التّريّث في استخدام المصطلح الإحيائي كما يلي:

- ضرورة استقراء وإحياء التّراث العربي وخاصّة ما استعمل منه من مصطلحات علميّة عربيّة.
- رأي أحد المفكّرين في استعمال المصطلح التّراثي وإعماله عمليّة محفوفة بالمخاطر وحجّته في ذلك أنّ المصطلح التّراثي مشدود بمرجعيّة خاصّة تختلف تماما عن مرجعيّة المصطلحات الحضاريّة الحديثة، قد يفقد هذه المعطيات حداثتها ويفرغها من مضامينها الجديدة ليشدّها إلى مضامين مغايرة تماما.
- أنّ عمّلية تمخيض لفظ المصطلح القديم لمفهوم المصطلح الحديث، ليست بالعمليّة الميسورة على الإطلاق[21].

فاعتمادا على هاته الآراء الّتي طرحها بعض النّقاد فيما يخصّ المصطلح التّراثي، توصّل إلى أنّ استعماله خاضع لشروط حتّى تنجح عمليّة التّوظيف المناسبة وجب مراعاتها، لذا يرى أنّ التّحمّس الزّائد للإحياء التّراثي. قد ينقلب إلى ضدّه، وبهذا تتوقّف حياة المصطلح الإحيائي على مدى النّجاح في عمليّة إفراغه من حمولته المعرفيّة القديمة بما يحيل عليه في المفهوم الحديث، ويدعو إلى إعمال المصطلح التّراثي بما يسمح له من التّوظيف السّليم مع التّنبيه من المخاطر أثناء التّوظيف الاستعمالي الّتي ينبغي مواجهتها بكثير من الحيطة الدّلاليّة والحذر المعرفي[22].

ففشل إخضاع المصطلح التّراثي بما يتلاءم والمصطلح الحديث والمعاصر يرجع إلى إعمال المصطلح القديم دون مراعاة لحمولته المعرفيّة الّتي نشأ ضمنها، فيحدث جرّاء ذلك النّزوع إلى طرق أخرى غير إعمال المصطلح التّراثي للسّبب المذكور آنفا كالتّرجمة الحرفيّة أو التّعريب أو الاشتقاق وغيره.

ويضرب مثالا لذلك " فحين يستبعد مصطلح (الغرض الأغراضيّة كمقابل لمصطلح Thémes) المرتبط بمحمول مدرسي يصعب إخراج دلالته المحنّطة، ذلك أنّ الغرض قديما ثابت رغم اختلاف النّصوص (مدح – هجاء – غزل – وصف) أمّا الموضوع فيتغيّر بتغيّر النّصوص. وهذا المفهوم مناهض لطبيعة الدّلالة الأدبيّة الّتي ينفي النّقد الجديد قصديّتها المباشرة، لأنّ الدّلالة اللّغويّة للغرض تفيد المرمى والقصد"[23].

لذا ارتأينا عرض دراسة تطبيقيّة لبعض المصطلحات عنده، حيث يعمد إلى جمع جلّ المقابلات الاصطلاحيّة العربيّة لكلّ مصطلح أجنبيّ، وفيما بعد يحدّد المصطلحات الّتي لاقت استهجانا منه وأخرى عرفت قبولا عنده، ومن بين هذه المصطلحات ما يلي:

مصطلحا الاستبداليّة (Paradigmatique) والتّركيبيّة (Syntagmatique):

نحدّد مفهوم كل من المصطلحين، فمصطلح "الاستبدالية" تعني " مجموع العناصر القابلة للتّناوب أو التّبادل (Substituable) في موضع معيّن من رسالة ما"[24] و "التّركيبيّة" أو التّركيب (Syntague) الّتي تعني "توافق (تراكب) العناصر في حضورها المشترك داخل ملفوظ ما (جملة أو خطاب) قابلة للتّحديد، فضلا عن العلاقة من نوع و ... و"[25].

يعرض أكثر من أربعين مصطلحا عربيّا كمقابل لمصطلحي الاستبداليّة والتّركيبيّة، سنعرض بعضها في الجدول الآتي:

المصطلح	واضعه
نموذج – تراتبي – استبدالي –تركيبي – تتابعي	مبارك مبارك
المنسقي – التّراصفي	كمال أبو ديب
الإحلالي - التّركيبي	محمّد عناني
الاستبداليّة – الضّميميّة	سعيد علوش
الجدولي – النّسقي – الاستبداليّة – الرّكنيّة	عبد السّلام المسدّي
استبدالي – نظمي – تركيبي – أفقي	بسّام بركة
تواردي – ترابطي	محمّد بنيس
الاستبداليّة – النّظميّة	عزّة آغا ملك
الاستبداليّة – السّياقيّة	صلاح فضل
الاختيار – التّركيب	نور الدّين السّد
الاستبدالي – التّركيبي	رشيد بن مالك

جدول يوضّح أهمّ المصطلحات الّتي عرضها يوسف وغليسي[26]

من بين أربعين مصطلحا كمقابل لمصطلحي "الاستبدالية" و "التّركيبيّة" أو التّركيب (Syntague). يختار **(الاستبدال والتّركيب)** استنادا لتداولهما عن البقيّة" فيستبعد (الضّميم) الّذي لا تخريج له في التّصريفات المعجميّة العربيّة سوى رابطته الواهيّة بالفعل (ضمّ)، و (الرّكبرة) التّحتيّة المبهمة، بدليل أنّ عبد الملك مرتاض نفسه الّذي ابتدعها قد أصبح أزهد النّاس فيها وصار يستعيض عنها بغيرها من المصطلحات ... أمّا (النّظيم) الّذي يصطنعه رشيد بن مالك، فليس مضموم النّون والظّاء، أو مفتوح النّون وساكن الظّاء، وهو – في كلتا الحالتين – مخالف لتقاليد اللّغوية العربيّة"[27]. فاختيار المصطلح التّراثي عنده قائم على وجوب مراعاة تواجده في المعاجم العربيّة مع توافقه وتقاليد اللغة العربيّة وعلى هذا الأساس مال إلى البعد التّداولي لاختيار المصطلح على أن نستعمل مصطلحا تراثيا لا يحمل دلالة المصطلح الأجنبيّ.

أمّا مصطلحا **السّيميائيّة (Sémiotique) والسّمة (Signe)** عرفا أكثر من ستّة وثلاثين ترجمة له في السّاحة العربيّة، لذا نعرض في الجدول الآتي أهم المصطلحات الّتي جمعها كانت كالآتي:

المصطلح	واضعه
سيميائي	أنور المرتجي
الدليل	الكتابات المغربية
الإشارة	ميشال زكاريا وصلاح فضل
السّمة	عبد الملك مرتاض
وظيفة سيميائيّة	حسين خمري
السّيميوزيس	سعيد علوش ورشيد بن مالك
السّيميوسيس	عبد السّلام بنعبد العالي
المُواسم والتّواسم	عبد الملك مرتاض

جدول يوضّح أهمّ مصطلحات الّتي أحصاها وغليسي كمقابل لمصطلحي السيميائيّة والسّمة.[28]

كانت معظمها مستقاة من التّراث، ففي مواطن كثيرة جاءت بمعنى العلامة والتّي نجد لها حضورا في القرآن الكريم في العديد من الآيات نذكر منها: قوله تعالى: " ... سيماهم في وجوههم من أثر السّجود ..."[29]. وفي قوله أيضا "يعرف المجرمون بسيماهم"[30]. إضافة إلى الاستعمال في الشّعر القديم فيستشهد ببيت أسيد بن عنقاء الفزاري في مدح عميلة حين قاسمه ماله حسب ما كان يروى" له سيمياء لا تشقّ على البصر"[31].

لينتهي به المطاف لاختيار مصطلحا تراثيّا آخر " قد يليق بهذه (السّيميوزة) وهو التّسويم الّذي اقترحه حازم القرطاجنّي قديما ليطلقه على العمليّة الّتي يقوم بها الشّاعر القديم حين يتفنّن في الانتقال من حال إلى حال ومن مقصد إلى مقصد، أو من موضوع إلى آخر داخل القصيدة الواحدة"[32]. فكلّ من مصطلح (السّمة والسيمياء والتّسويم) تمّ وضعها من تراثنا العربي شعره وبلاغته ومن القرآن الكريم وهي أكثر المصطلحات تداولا خاصّة السّمة والسيمياء.

إذن فاستعمال المصطلح التّراثي لاق قبولا لديه، واستهجانه لبعض المصطلحات الّتي وضعها بعض النّقاد فلا هي مصطلحات تراثيّة في نظرنا ولا هي مستحدثة كمصطلح (السّيميوسيس)، فهذا التّضارب يراه راجعا إلى ذاتيّة النّاقد العربي أوّلا وبالدّرجة الأولى. وإلى حالة اللاستقرار الّتي يعيشها النّقاد والدّارسون بين انبهار بالآخر والتّمسك بموجة الحداثة وما بعد الحداثة جعلتهم يتغافلون عن توظيف المصطلح التّراثي وإهماله.

إذ" أنّ النّاقد العربي الجديد تعوزه روح الاصطلاح مع ذاته أوّلا قبل التّفكير في الاصطلاح مع الآخر! ولا أدّل على هذا من أنّ معظمهم لا يزال – في حالة التّقبّل والتّفكيك – يراوح بين بدائل اصطلاحيّة كثيرة أمام المفهوم الواحد، في المواطن الواحد أو المواطن المتعاقبة، بما قد يغيّب المفهوم ذاته في غياب التّقيّد التّجريدي بموقع اصطلاحي واضح"[33].

كما أثار قضيّة الانزياح التي تعرف بأنّها إحدى أهمّ محدّدات الأسلوبيّة، فبه يتميّز العمل الأدبيّ وتظهر جماليّته الفنّية، إذ يعدّ الخروج عن المألوف أو عن المعيار، وكبقيّة المصطلحات قد لاق هذا المصطلح تضاربا وتعدّدا داخل الخطاب النّقديّ العربي، وهي قضيّة لازبة معه حتّى بمسقط رأسه الغربي، وقد انتقلت إلى الوطن العربي بمقابلات فاقت عدد واضعيها، لتكون هي بدورها انزياح عن نظام ضبط التّرجمة، بأكثر من أربعين

مصطلحا، وأكثرها شيوعا بين الدّارسين الانزياح والعدول والانحراف، وأمّا بقيّة المصطلحات الأقلّ تداولا وشهرة معظمها تنحدر في ذات المفهوم لهذه المصطلحات السالفة الذكر، وبعضها الآخر تخرج تماما عن مفهومها المراد.

لذا اعتمادا على دراسات سابقة توصّل الأستاذ يوسف وغليسي لجمع أكثر من 60 مصطلحا عربيّا في مواجهة هذا المفهوم محاولا معالجة هذا الاسهاب في حقّ الوافد الغربيّ، فاستغنى عن بعضها وأسقط وأزاح بعضها الآخر وتقبّل بعضا منها استنادا على مايلي:

- يمكن الاستغناء على أكثر من ثلاثة أرباع هذه الحصيلة لأنّها محدودة القوّة الاصطلاحيّة، أو ضئيلة الحظّ التّداولي، ومنعدمة الكفاءة المفهوميّة، أو هي محمولات لموضوعات أخرى من حقول غير أدبيّة أصلا.
- يمكن أن نسقط كلمات من نوع (الشناعة، الحماقة، الفضيحة، الجنون، النّشاز، العصيان، ...) لما تحمله من دلالات مرضيّة ومحمول أخلاقيّ سلبيّ.
- يمكن إزاحة مقابلات أخرى، حيث لا تقبض على دقّة المفهوم، من نوع (الاستطراد، الابتكار، الانحناء، نقل المعنى، الاتّساع، ....).
- أخرى لها دلالاتها خارج الإطار الأسلوبي، مثل (الاختلاف، الخلق، الأصالة، التّغريب، المفارقة، التّباين، التّضاد، العدول، ...) أي مستهلكة اصطلاحيا في حقول أدبيّة ونقديّة أخرى.
- الانزياح والعدول والانحراف هي مصطلحات تشيع في البلاغة العربيّة، يقبلها لبعدها التّداولي، بالرّغم من الدلالة الأخلاقيّة السيّئة للانحراف، ليجعل منه مقابلا للمصطلح (Ecart) والانزياح للمصطلح (Déviation)[34].

هذا ما يدعونا لنتساءل: كيف يمكن أن نختار المصطلح الأمثل من بين هذا الزّخم الكبير؟ وعلى أيّ أساس يتمّ ذلك؟ هل انتقاؤه له مسوّغاته؟

كان اختياره لهذه المصطلحات الثلاثة الأخيرة من بين هذا الاسهال العربي قائما على أساس البعد التّداولي وشهرته، بالرّغم مما تحمله من دلالات استفزازيّة أخلاقيّة خاصّة مع مصطلح الانحراف كانت بالإمكان أن تزيحه وتسقطه مثلما أسقط البقيّة بسبب الحجّة نفسها، وعلى أساس اختيار سابق لعهده كان مع أحمد محمد ويس، الّذي تفرّد بهذا الاختيار الثلاثي. ولكيلا يكون تابعا لمتبوع، وقع اختياره على الانزياح كمصطلح لم يستهلك قبلا.

خاتمة:

توصّلنا من خلال ما سبق إلى النقاط الآتية:

- إعمال المصطلح التّراثي حسب النّاقد يوسف وغليسي مرهون بمدى نجاح عمليّة إفراغه من حمولته المعرفيّة القديمة وملئه بما يحيل عليه في المفهوم الحديث، وإلّا يحدث تنافر بين المصطلح ومقابله.
- ولوع النّقاد والدّارسين العرب بالمنجز الغربي دعاهم إلى القطيعة مع التّراث.
- غلبة التّرجمة الحرفيّة واللّجوء إلى التّعريب والانشقاق من أهمّ عوامل القطيعة مع التّراث.
- اعتماد غلبة الدّارسين على وسائل أخرى غير الاستعمال التّراثي ولسهولة العمليّة بدل التّنقيب في التّراث العربي كمقابل للمصطلح الأجنبي، أوقعهم في الازدواجيّة المصطلحيّة.
- حياة المصطلح قائمة على شيوعه التّداولي سواء كان مصطلحا تراثيّا أو مترجما أو معرّبا.

- انعدام التّنسيق والاتّفاق على مبدأ العمل بالمصطلح التّراثي أفضى إلى تعدّديّة المصطلح أمام المصطلح الأجنبي الواحد.
- تراثنا العربي أصبح مهدّدا بالانفلات والضّياع لطبيعة المسافة الفاصلة بين القديم وعصرنا الحالي، لذا لابدّ من جهود عربيّة مضاعفة من أجل جمع المصطلحات التّراثيّة وتصنيفها حتّى يستفاد منها في العمل المصطلحي.
- تباينت آراء الدّارسين بين إعمال وإهمال ووسطيّة للمصطلح التّراثي، وذلك راجع لخلفيّة كلّ دارس.
- لا يمكن أن نتجاوز تراثنا في سبيل الانسياق نحو الحداثة ومجرياتها المعاصرة، الّتي تتراءى للبعض أنّها انفصال وانقطاع للماضي، فيمكن أن نمتثل لها ونسايرها في إطار إعمال المصطلح التّراثي شريطة الوعي الدّقيق والتّنسيق الواعي بين المصطلح الأجنبيّ ومقابله العربيّ بحيث يحمل دلالته دون لبس أو غموض.
- وجب الحرص على الوضع المصطلحي بما تمتثله مصطلحاتنا العربيّة لا وضعه بحسب الشيوع والتداول الّذي ضاع في سبيلهما الكثير من المصطلحات كانت أجدر من تلك الّتي فرضها التّداول.

هوامش وإحالات المقال

[1] مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص93.

[2] عبد السلام المسدي: المصطلح النّقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، د.ط، 1994، ص 105.

[3] بتصرف، د. مختاري درقاوي، استثمار التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني، مقال مجلة اللّسانيات العربيّة، تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، العدد 2، 2015، ص 59.

[4] محمد السعران: علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص7.

[5] بتصرف: خليفة ميساوي، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2013، ص26.

[6] بتصرف، عبد العزيز حمودة: المرايا المقعّرة نحو نظريّة نقديّة عربيّة، مطابع الوطن، الكويت، د.ط، 2001، ص 30.

[7] عبد الرّزاق جعنيد: المصطلح التراثي النّقديّ قضايا وإشكالات، عالم الكتب للنشر، العراق، ط1، 2011، ص45.

[8] بتصرف، المرجع السابق، ص171.

[9] عياد بومرزاق: إشكاليّات المصطلح وتعطّل النّظريّة النّقديّة، كتابات أدونيس وجابر عصفور نموذجا، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2022، ص 146.

[10] بتصرف، جابر عصفور: مفهوم الشعر دراسة في التّراث النّقدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط5، 1995، ص 9.

[11] بتصرّف، د. علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العلميّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص 241-242.

[12] ممدوح محمّد خسارة " المعاجم اللّغويّة وأهميّتها في وضع المصطلحات" في: مجلّة مجمع العربيّة، دمشق، المجلّد 78، ص 619-640، نقلا عن، علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النّظرية وتطبيقاته العلميّة، ص 244.

[13] بتصرّف، المصدر نفسه، ص 245.

[14] بتصرّف، المصدر نفسه، ص 246-247.

[15] بتصرّف، المصدر نفسه، 248-250.

[16] البوشيخي الشاهد: دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2012، ص 66-67.

[17] بتصرف، عياد بومرزاق: إشكاليّات المصطلح وتعطّل النّظريّة النّقديّة، كتابات أدونيس وجابر عصفور نموذجا، ص 146.

[18] بتصرف، المصدر نفسه، ص 146.

[19] بتصرّف، على القاسمي: علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العلميّة، ص 239 وما بعدها.

[20] المصدر السابق، ص 280.

[21] بتصرف، يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008، ص 86.

[22] المصدر نفسه، ص 86.

[23] بتصرّف، المصدر نفسه، ص 160.

[24]. Lixique Sémiotique, PUF, Paris, 1979 .P109 Rey-Debove (Josette) : نقلا عن يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 199.

[25]. Sémiotique- Dictionnaire Raisonné De La Théorie Du Langage, Hachette Livre, Paris, 1993 .p 377 Greimas et Courtés : نقلا عن المصدر نفسه ، ص 199-200

[26] بتصرّف، المصدر نفسه، ص 200-201.

[27] بتصرف، المصدر نفسه، ص 203.

[28] بتصرف، المصدر نفسه، ص 251-252.

[29] سورة الفتح: الآية: 29.

[30] الرحمن: الآية: 41.

[31] بتصرف، يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 241.

[32] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق وتح: محمد الحبيب ابن الخوخة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ط2، ص 297.

[33] إشكاليات المنهج والمصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض النّقدية (محطوط ماجستير)، معهد اللغة العربيّة وآدابها، جامعة قسنطينة، 1995-1996، ص 307، نقلا عن المصدر السابق، ص 295.

[34] بتصرف، المصدر نفسه، ص 217.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

1. البوشيخي الشاهد: دراسات مصطلحية، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط2، 2012.
2. جابر عصفور: مفهوم الشعر دراسة في التّراث النّقدي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط5، 1995.
3. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تق وتح: محمد الحبيب ابن الخوخة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1981.
4. خليفة ميساوي، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2013.
5. عبد العزيز حمودة: المرايا المقعّرة نحو نظريّة نقديّة عربيّة، مطابع الوطن، الكويت، د.ط، 2001.
6. علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النّظريّة وتطبيقاته العلميّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2008.
7. عياد بومرزاق: إشكاليّات المصطلح وتعطّل النّظريّة النّقديّة، كتابات أدونيس وجابر عصفور نموذجا، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2022.
8. مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
9. محمد السعران: علم اللّغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
10. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008.
11. مختاري درقاوي: استثمار التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني، مقال مجلة اللّسانيات العربيّة، تصدر عن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز، العدد 2، 2015.
12. عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، د.ط، 1994.